قلت وقد علتني الدهشة: والله إنك مصيبة، ابتسم متمتماً ذلك الفضل من الله، قلت: هل تريد الآن مني شيئاً، نظر إلى ساعته وقال: لا هناك متسع من الوقت لأوصلك للدار ثم أذهب لموعدي، أوصلني للبيت، في الطريق أخبرني أنه قد تم اعتقال مجموعة من الشباب تنتمي للجهاد الإسلامي هي التي وقفت وراء عمليات القتل بالسكين التي حدثت في غزة خلال الفترة الأخيرة، الله أكبر كل خلية تعمل لا يطول عمرها عن شهر ويتم اعتقالها ما هذه المصيبة؟ قال: مادام في شعبنا أمثال هذا الخائن وما دمنا كتنظيمات وكقوى سياسية غير قادرين على معالجة هذه الظاهرة معالجة جذرية فسيظل الوضع على هذه الحال، بل وسيزداد سوءاً، كنا قد وصلنا الدار فنزلت وأنا أقول له لا تتأخر، إن تأخرت عن الساعة العاشرة فسأعرف أنه قد حدث لك مكروه، فانطلق مغادراً ليصل لموعده في الوقت المناسب.

خطيبة أخي محمد كانت تستعد لامتحانات نهاية الفصل الدراسي ونهاية دراستها في الجامعة لذلك فقد حرص محمد على التردد على منزلهم (منزل أهلها) في فترات متقاربة لينظر إذا كان يلزمها بعض العون في الدراسة. وقد صلى العصر في المسجد القريب، ثم انطلق إلى بيتهم طرق الباب فخرج أحد إخوتها ليفتح الباب لاستقباله ثم أدخله البيت، حضر أبوها وأمها وأحسنوا استقباله ثم حضرت هي الأخرى، ومعها كتبها وجلست على الكرسي المجاور.

أمها قامت لتحضير الشاي وأبوها ظل جالساً وبدأت تسأل في موضوعات الدراسة ومحمد يجيبها حتى أذان المغرب. قام يصلي هو ووالدها وهي وأمها يصلين من ورائهما، ثم جلس ليكمل بعض الشرح، بعد حوالي نصف ساعة قال عليّ أن أغادر عائداً للبيت، قالت: أليس الوقت مبكراً بعد، قال: لا فأنتم تعرفون أن الوضع غير مستقر والبلد أصبحت الآن مثل مدينة الأشباح، لا رائح ولا غاديَ، وعلي أن أصل البيت قبل العشاء، لئلا نتورط في إحدى المشاكل مع الجنود أو المستوطنين أو أحد أبناء الحرام.

دفعته بيده في ركبته وكأنها تقول له علام الاستعجال؟ فقال أبوها: صدقت يا محمد وكلامك عين الصواب، كان محمد قد توقف للمغادرة قائلاً: السلام عليكم، فوقف الرجل يودعه حتى الباب وهو يقول: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته مع السلامة، خرج محمد من البيت وقد كان الظلام يعم المكان فانطلق في طريق العودة لشقته، سار في طريق موحش ليس فيه سواه من الأحياء، سوى بعض القطط المشردة والكلاب الضالة في تلك الساعة المبكرة من المساء، كل المحال التجارية مغلقة وكل الخلق قد استتروا في بيوتهم خشية المشاكل ووجع الرأس، حث محمد خطاه عائداً للبيت دون كثير من الالتفاتات والبحث مما يعيق الوصول إلى البيت.